



الكرسي الرسولي

رسالة قداسة البابا فرنسيس

في مناسبة اليوم العالمي الثاني والثلاثين للمريض

11 شباط/فبراير 2024

"لا يحسن أن يكون الإنسان وحده"

الاعتناء بالمريض بالاعتناء بالعلاقات

"لا يحسن أن يكون الإنسان وحده" (تكوين 2، 18). منذ البدء، الله الذي هو محبة خلق الإنسان ليكون في شركة واتحاد مع غيره. ووضع في كيانه أن يكون علاقة مع. وهكذا، فإن حياتنا، التي صاغها الله على صورة التالوث الأقدس، مدعوة إلى أن تحقق نفسها كاملة في ديناميكية العلاقات والصداقة والحب المتبادل. خلقنا لتكون معاً، لا وحدنا. ولأن مشروع الشركة والوحدة هذا محفور بعمق في قلب الإنسان، فإن خبرة الخذلان والوحدة تخيفنا وهي مؤلمة، بل هي غير إنسانية. وتصير أكثر خطورة في أوقات الضعف والتردد وانعدام الأمن، وهذا يحدث مراراً عند الإصابة بأي مرض خطير.

أفكر، مثلاً، في الذين كانوا وحيدين جداً خلال جائحة كوفيد-19: المرضى الذين لم يتمكنوا من استقبال الزوار، وأيضاً الممرضين والأطباء وموظفين آخرين داعمين، جميعهم كانوا مثقلين بالعمل ومغلقاً عليهم في أجنحة العزل. وبالطبع لا ننسى عدد الأشخاص الذين اضطروا إلى أن يواجهوا ساعة الموت وحدهم، بمساعدة العاملين في مجال الصحة، ولكن بعيداً عن عائلاتهم.

وفي الوقت نفسه، أشارك بألم في حالات الألم والوحدة التي يوجد فيها البعض اليوم، بسبب الحرب وعواقبها المأساوية، بلا سند ولا مساعدة: الحرب هي أشد الأمراض الاجتماعية، والذين يدفعون الثمن الغالي فيها هم الأضعفون.

ومع ذلك، من الضروري أن نؤكد أنه حتى في البلدان التي تتمتع بالسلم وبموارد وافرة، فيها أيضاً وقت الشبخوخة والمرضى محاط بالعزلة، وأحياناً بالخذلان. هذا الواقع المحزن هو قبل كل شيء نتيجة لثقافة الفردية، التي تهتم أولاً بالمكسب مهما كان الثمن، وبأسطورة الفعالية والإنتاج، فتصير غير مبالية، بل بلا رحمة، عندما لا يعود لدى الناس القوة اللازمة للإنتاج. ومن ثم تصير ثقافة الإقصاء والرفض، حيث "الأشخاص لا يعتبرون بعد قيمة أساسية ينبغي احترامها وحمايتها، لا سيما إن كانوا فقراء أو ذوي احتياجات خاصة، أو "لا يقدرّون بعد أن يعملوا" – كالأطفال الذين لم يولدوا بعد- أو "لا فائدة منهم" – كالكبار المتقدمين في السن" (رسالة بابوية عامة، كلنا إخوة، 18). للأسف، هذا المنطق يتغلغل أيضاً في بعض الخيارات السياسية، التي تفشل في وضع كرامة الإنسان واحتياجاته في المقام الأول، ولا يضعون دائماً الاستراتيجيات والموارد اللازمة لضمان الحق الأساسي لكل إنسان في الصحة والحصول على العلاج. في الوقت نفسه، التخلي عن الضعفاء ووحدهم تزداد مع تقليص الرعاية إلى الخدمات الصحية فقط، دون أن تكون

حَسَنَ لَنَا أَنْ نَسْمَعَ مِنْ جَدِيدِ كَلِمَةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ: لَا يَحْسُنُ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ وَحْدَهُ! قَالَهَا اللَّهُ فِي بَدَايَةِ الْخَلْقِ، وَبِهَا كَشَفَ لَنَا عَنِ الْمَعْنَى الْعَمِيقِ لَخَطِّهِ لِلبَشَرِيَّةِ، وَفِي الْوَقْتِ نَفْسَهُ، بَيْنَ لَنَا جُرْحَ الْخَطِيئَةِ الْمَمِيَّةِ، الَّذِي يَدْخُلُ فَيُؤَلِّدُ الشُّكُوكَ وَالْإِنْشِقَاقَاتِ وَالْإِنْقِسَامَاتِ، وَالْعِزْلَةَ أَيْضًا. فَهِيَ تَوَثِّرُ فِي الْإِنْسَانِ فِي جَمِيعِ عِلَاقَاتِهِ: مَعَ اللَّهِ، وَمَعَ نَفْسِهِ، وَمَعَ الْآخَرِينَ، وَمَعَ الْخَلِيقَةِ. هَذِهِ الْعِزْلَةُ تَجْعَلُنَا نَفْقِدُ مَعْنَى الْحَيَاةِ، وَتَسْلُبُنَا فَرْحَ الْحُبِّ وَتَجْعَلُنَا نَخْتَبِرُ شَعُورًا خَائِفًا بِالْوَحْدَةِ فِي جَمِيعِ مَرَاكِلِ الْحَيَاةِ الْحَاسِمَةِ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ، الْعِلَاجُ الْأَوَّلُ الَّذِي نَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي مَرَضِنَا هُوَ الْقَرَبُ الْمَلِيءُ بِالرَّأْفَةِ وَالْحَنَانِ. لِهَذَا السَّبَبِ، أَنْ نَعْتَبِرَ بِالْمَرِيضِ يَعْنِي قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ أَنْ نَعْتَبِرَ بِعِلَاقَاتِهِ، بِكُلِّ عِلَاقَاتِهِ: مَعَ اللَّهِ، وَمَعَ الْآخَرِينَ - الْأَقْرَابِ وَالْأَصْدِقَاءِ وَالْعَامِلِينَ الصَّحِيِّينَ - وَمَعَ الْخَلِيقَةِ، وَمَعَ نَفْسِهِ. هَلْ هَذَا الْأَمْرُ مُمْكِنٌ؟ نَعَمْ مُمْكِنٌ، وَنَحْنُ كُلُّنَا مَدْعُوعُونَ إِلَى أَنْ نَلْتَزِمَ حَتَّى يَتَحَقَّقَ ذَلِكَ. لِنَنْظُرَ إِلَى أَيْقُونَةِ السَّامِرِيِّ الرَّحِيمِ (رَاجِعْ لَوْقَا 10، 25-37)، وَإِلَى قَدْرَتِهِ عَلَى أَنْ يَتَوَقَّفَ وَيَكُونَ قَرِيبًا، وَإِلَى الْحَنَانِ الَّذِي بِهِ خَفَّفَ جِرَاحَ أَخِيهِ الْمَتَّالِمِ.

لِنَتَذَكَّرْ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ الْأَسَاسِيَّةَ فِي حَيَاتِنَا: أَتَيْنَا إِلَى الْعَالَمِ لِأَنَّ أَحَدًا مَا اسْتَقْبَلَنَا، وَخُلِقْنَا مِنْ أَجْلِ الْمَحَبَّةِ، وَدُعِينَا إِلَى الشَّرِكَةِ وَالْوَحْدَةِ وَإِلَى الْأَخُوَّةِ. هَذَا الْبُعْدُ فِي كِيَانِنَا يَسْنَدُنَا خَاصَّةً فِي أَوْقَاتِ مَرَضِنَا وَضَعْفِنَا، وَهُوَ الْعِلَاجُ الْأَوَّلُ الَّذِي عَلَيْنَا أَنْ نَعْتَمِدَهُ مَعًا كُلُّنَا لِكَيْ نَشْفِيَ أَمْرَاضَ الْمَجْتَمَعِ الَّذِي نَعِيشُ فِيهِ.

وَأُودُّ أَنْ أَقُولَ لَكُمْ، أَنْتُمْ الَّذِينَ تَعِيشُونَ مَعَ الْمَرَضِ، سِوَاءَ كَانَ عَابِرًا أَمْ مُزْمَنًا: لَا تَخْجَلُوا مِنْ رَغْبَتِكُمْ فِي الْقَرَبِ وَالْحَنَانِ! لَا تُخَفِّوْهَا وَلَا تَفَكِّرُوا أَبَدًا فِي أَنْتُمْ عِبَاءً عَلَى الْآخَرِينَ. حَالَةُ الْمَرَضِيِّ تَدْعُونَا كُلُّنَا إِلَى أَنْ نُبْطِئَ الْإِيقَاعَاتِ الْمَسْرِعَةَ الَّتِي تَغْمِرُنَا وَإِلَى أَنْ نَكْتَشِفَ أَنْفُسَنَا مِنْ جَدِيدٍ.

فِي عَصْرِ التَّغْيِيرَاتِ هَذَا الَّذِي نَعِيشُ فِيهِ، نَحْنُ الْمَسِيحِيِّينَ بِشَكْلِ خَاصٍّ، مَدْعُوعُونَ إِلَى أَنْ نَتَّخِذَ نَظْرَةَ يَسُوعِ الرَّؤُوفَةِ. لِنَعْتَنَ بِمَنْ يَتَّالِمُ وَهُوَ وَحْدَهُ، وَقَدْ يَكُونُ مَهْمَشًا وَمُنْبُوذًا. لِنَشْفِ جِرَاحَ الْوَحْدَةِ وَالْعِزْلَةِ بِالْحُبِّ الْمُتَبَادَلِ الَّذِي مَنْحَنَا إِلَيْهِ يَسُوعُ الْمَسِيحُ فِي الصَّلَاةِ، وَخَاصَّةً فِي الْإِفْخَارِسْتِيَا. وَهَكَذَا تَتَعَاوَنُ لِكَيْ نَقَاوِمَ ثِقَافَةَ الْفَرْدِيَّةِ وَاللَّامْبَالَاةِ وَالْإِقْصَاءِ، وَلِكَيْ نَنْمِيَ ثِقَافَةَ الْحَنَانِ وَالرَّأْفَةِ.

الْمَرَضِيُّ وَالضَّعْفَاءُ وَالْفُقَرَاءُ هُمْ فِي قَلْبِ الْكَنِيسَةِ وَيَجِبُ أَنْ يَكُونُوا أَيْضًا فِي قَلْبِ مَشَاعِرِنَا الْبَشَرِيَّةِ وَاهْتِمَامِنَا الرَّعْوِيِّ. لَا نَنْسَ ذَلِكَ! وَلِنُؤَكِّلْ أَنْفُسَنَا إِلَى سَيِّدَتِنَا مَرْيَمَ الْكَامِلَةِ الْقَدَاسَةِ، وَشِفَاءَ الْمَرَضِيِّ، لِنَشْفِعَ بِنَا وَتَسَاعِدُنَا لِنَكُونَ صَانِعِي قُرْبٍ وَعِلَاقَاتِ أَخُوَّةٍ.

روما، بازيليكَا القُدَيْسِ يُوْحَنَّا فِي اللَّاتِرَانِ، يَوْمَ 10 كَانُونِ الثَّانِي/يُنَايِرَ 2024.

© 2024 نَاكِيَتَا فَا لْأَرْضَا ح - عَظُوفَا ح م ق و ق ح ل ا ع ي م ج